

* * *

أُمُّ وَرَقَة

رَضِىَ اللّهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

أمُّ وَرَقَـــة

رضِىَ اللّهُ عَنها

خَرجتْ فاطِمَــةُ ووالِدَتُهـا مـنْ المَســجِد ، بعـدَ أداءِ صَلاةِ الجُمُعَةِ مَسْرورَتَيْن ، فقَـدْ أعجَبَتْهُمـا الخُطبَةُ الّتى ألْقاهـا إمـامُ المَسـجِد ، وكـانتْ عـن مَواقِفِ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسـلّم ـ معَ أصْحابِه .

وقالتْ فاطِمَة :

ـ من هِىَ يا أُمّى أُمُّ ورَقَة ، الّتـى ذَكَرهـا إمـامُ المَسجِدِ ، فى بضْعِ كَلِماتٍ من حَديثِه ؟

قالتْ أُمُّها وهىَ تبتَسِم :

ـ هِيَ يا ابْنَتى الصَّحابِيَّةُ الجَليلَة ، الّتى بشَّـرها رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ بالشَّهادَة ، فَنالَتْها .

قالتْ فاطِمَة :

ـ نَعم يا أُمّى ، فَهذا هو ما سَمِعناهُ مـنَ الإِمـامِ لا أكْثَر ، ولكـنْ مـن هِـىَ أمُّ وَرَقـة ، ومـا هِـىَ حِكايَتُها ؟ فَهذا ما أوَدُّ أنْ أعْرِفَه .

قالتْ أُمُّها وهىَ تَفتَحُ بابَ الشُّقّة :

ـ نَجلِسُ الآنَ أوّلا ، ثُمَّ أُحدِّثُكِ عن حِكايَتِها .

وَجَلَستْ أُمُّها علَى الأريكَة ، وجلَستْ فاطِمـةُ قَريبا مِنها .

وقالَتْ أمُّها :

ــ أمُّ وَرَقـة هـى بِنـتُ عَبـدِ اللّـهِ بـنِ الحـارِث الأنْصارِيَّة ، والأنْصارُ يا ابْنَتى هُـم أَهـلُ يَـثرِب . وتَبـدأُ حِكايـةُ أُمِّ وَرَقـةَ عِندما جاءَتِ البُشْـرَى لأَهلِ يَثرِب ، أنَّ النَّبىّ ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ قد خَرَجَ من مَكَّةَ هو وصاحِبُه أبو بَكرٍ الصِّديق ، مُهـاجِرَيْنِ إلى يَـثرِب ، فخـرَجَ أهـلُ يَـثرِبَ عَـن بَكْـرَةِ أبيهـم ــ أى كُلُّهـم ــ وخـرَجَ مَعهـم المُهاجِرونَ الّذينَ هـاجَروا مـن قَبْـلُ مـن مَكَّـةَ إلى يَثرِب ، وكانوا جَميعًا فى لَهفَـةٍ وشَـوق ، لرُؤيَـةِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ .

فلمّا تأخَّرَ وصولُ النَّبىِّ الكَريمِ إلى يَثرِب ، ساوَرتْ بَعضَهُمُ الظُّنون ، وخَشَوا أن تكونَ بعضُ العَقباتِ قد عاقَتِ الرَّسولَ وصاحِبَه ، ومَنعَتْهما من الحُضور .

ولكنَّ عِنايةَ اللّهِ ـــ سُبحانَه وتعالى ـــ كانتْ أكبَرَ وأعظَمَ من كلِّ عَقبة ، فتَكفَّلتْ بحِمايَتِهِ ورِعايَتِه ، حتَّى أشْرَقَتْ طَلعَتُهُ الشَّريفَةُ على يَثرِب ـــ الَّتى أُطلِقَ عليها منذُ ذَلكَ اليَوم ، اسْمُها الَّذى عُرِفَتْ به فيما بَعد ، وهُو « المَدينَةُ المُنوَّرَة » فغَمرتْها بالنّور ، وشَمِلَتها بالفَرحَة ، وخرجَ نِساؤها يَضرِبنَ بالدُّفوف ، ويُطلِقنَ

الزَّغاريد ، ويُنشدنَ مُرَحِّباتٍ برَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ :

طلعَ البَدرُ علينا مِن ثَنِيّاتِ الوَداعْ
وجَبَ الشُّكرُ عَلينا ما دَعا لِلّهِ داعْ
أيُّها المَبعوثُ فينا جِئتَ بالأَمرِ المُطاعْ
جِئتَ شرَّفتَ المَدينَة مَرحَبًا يا خيرَ داعْ

* * *

وكانتْ أمُّ وَرَقَة تَقِفُ مع أَخواتٍ لها ، تَهتِفُ وتُلوِّحُ مُرحِبَّةً برَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ وهو يَمضى بينَ جُموعِ مُستَقبِليه ، فوقَ ناقَتِهِ القَصْواء .

واستَقرَّ الرَّسولُ الكَريم ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ بالمَدينَةِ المُنوَّرَة ، وانصرَفَتْ أُمُّ وَرَقَة ـ رَضِيَ اللّهُ عَنها ـ إلى كِتابِ اللّهِ ـ سُبحانَهُ وتَعالَى ـ تَحفَظُ آياتِه ، وتَتفَقَّهُ مَعانيه ، وتَقومُ اللّيلَ عابِدَةً تُصَلّى وتَقرأُ القُرآن ، وتَخشَعُ وتَبكى ، وتَعكِفُ على جَمعِ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ فى دارِها ، مَكتوبَةً على العِظامِ والجُلودِ والرَّقائِق ، مُرتَّبَةً كما أمرَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ .

وكانتْ أُمُّ وَرقَةَ واحِدَةً من نِساءِ الأنْصار ، اللّاتى كانَ نَبىُّ اللّهِ الكَريم ، يَقصِدُهنَّ

ويَزورُهُنَّ فى بِيوتِهِنّ ، فكانَ يأتى إلَيها زائرًا بينَ الحينِ والحين ، ومعَه بعضُ أصْحابِه ، إكرامًا لَها وإعْزازا لَمكانَتِها .

وكانَ - صلّى اللّهُ عليه وسلّم - يَرى فيها المَرأةَ التّقِيَّة ، والعابِدَةَ الصّالِحَة ، الّتى على الرُّغمِ من مالِها وثَرائِها ، كانتْ تَزدادُ تَواضُعًا وقُربا منَ اللّهِ ورَسولِه . كما كانتْ تَعطِفُ على الفُقَراءِ والمَساكين ، وتُعينُ الضُّعَفاء ، وتَفتَحُ لهم عَقلَها وقَلبَها وبابَ بَيتِها . وقد سَخَّرتْ مالَها ونَفسَها لفِعلِ الخَير .

وكانَ يقومُ على خِدمَتِها فى بَيتِها الكَبير ، عَبدٌ وجارِيَة ، ورِثَتْهُما فيما وَرِثَت عن أَهلِهـا . فلَمّـا أسـلَمتْ لِلّـه ، أعْتَقتْهُمـا وأَعطَتْهُمـا حُرِّيَتَهُمـا ، فإمّا أنْ يَعيشـا مَعَهـا ويَعْمَـلا عِندَهـا ، أو يَرحَـلا إلَى حَيثُ يَشاءان . ولكِنّهُما فَضَّلا أن يظَلاّ على وَلائِهِما لها ، ويَخدُماها ويَقوما علَى شُئونِها .

فوافَقَـتْ علـى ذَلـك ، وحـدَّدتْ لِكُـلِّ واحِـدٍ مِنهُما أجْرًا على عَمَلِهِ عِندَها .

وذاتَ يَومٍ عَلِمت أمُّ وَرقَة ـ رَضِىَ اللّـه عَنها ـ أنَّ رَسولَ اللّـه ـ صلّى اللّهُ عليـه وسـلّم ـ نَـدَبَ المُسلِمينَ مـِنَ المُهـاجِرينَ والأنْصـارِ لأنْ

يَخرُجوا ويَعتَرِضوا قافِلَةً لقُرَيش ، تَحمِلُ تِجارَةً وأمْوالا ، وهى فى طَريقِها إلى المُشرِكينَ فى قُرَيش ، وكانَ على رأسِ القافِلَةِ أبو سُفيان ، أحَدُ زُعماءِ قُرَيْش ، عِقابًا لهم علَى ما ارْتَكَبوهُ من إيذاءِ المُسلِمينَ فى مَكّة ، ونَهبِ أمْوالِهِم .

فأسرعَتْ أُمُّ وَرَقة ، وطَلبتْ من رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ أن يأذنَ لها بالخُروجِ معَ الخارِجينَ تُداوى جَرحاهُم ، وتُعالِجُ مَرضاهُم ، لعلَّ اللّهَ أن يكتُبَ لها الشَّهادَة .

فقالَ لها رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ :

ـ إنَّ اللّهَ سُبحانَهُ وتَعالَى سيُهدى إلَيكِ الشَّهادَةَ . عودى إلى بَيتِكِ فإنّكِ شَهيدَةَ .

فأطاعَتْ أمُّ وَرَقَةَ رَسولَ اللّه ـ صلَّى اللّهُ عليه وسلّم ـ ولزِمَت بَيتَها ، وجَعلتْ منه مَسجدًا ومُصَلّى ، وجَعلتْ له مُؤَذّنا يَرفَعُ صَوتَهُ بنِداءِ الحقِّ كلّما حانَ وقتُ الصَّلاة . وكانتْ تَقِفُ فى أهلِ بَيتِها للصَّلاةِ تَؤُمُّهُنّ ، وكانتْ تَعِظُهُنَّ وتُوجِّهُهُنَّ لِفعلِ الخَير ، وتَتدارَسُ مَعهُنَّ معانى القُرآنِ الكَريم .

وهكذا أصبحَ بَيتُها مَدرَسةً ، ومَكانًا يَجتَمِعُ فيه النّساءُ يتَفقّهنَ فى الدّين ، ويَتعبَّدنَ ويُؤَدينَ الصَّلاة .

وكانَ رسولُ اللّهِ ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ يأتيها بينَ وَقتٍ وآخَر ، يَستَطلِعُ أحْوالَها ، ويتَفقّدُ مَسجدَها ، فَيُرشِدُها ويَعِظُها ويَنصَحُها ، وكانَ يَقولُ لأصْحابِه :

ـ انْطلِقوا بنا نَزورُ الشَّهيدَة .

وقد خرجتْ أمُّ وَرقَة ـ رَضِيَ اللّهُ عَنها ـ مع نِساءِ المُسلِمين ، خلفَ الرِّجالِ المُقاتِلينَ فى غَزوَةِ أُحُد ، تَشُدُّ أزرَهُم ، وتُداوى جراحَهُم .

وأمضتْ أُمُّ وَرَقَة ـ رَضِيَ اللّه عَنها ــ حَياتَها في زَمنِ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ وفى عَهدِ الخَليفَةِ الأوَّلِ أبى بَكرٍ الصِّديق ، عابِدَةً زاهِدَة يُشارُ إلَيْها بالبَنان .

أمّا فى عَهدِ الخَليفَةِ الثَانى عُمرَ بن الخَطّاب ــ رَضِيَ اللّهُ عَنه ـ وقد دَنتْ ساعَةُ رَحيلِها عنِ الدُّنيا إلى الآخِرَة ــ وهى السّاعَةُ الّتى كانتْ تَتمَنّاها وتَطلُبها وتسعى إلَيها ، شَهيدَة ــ كما تَنبَّأ لها رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ــ ، فقدِ اتّفقَ العَبدُ والجارِيَة ، اللّذانِ طالَما أغدقَتْ عَليهِما من عَطفِها وإحْسانِها ، ومِن فضلِها

ورِعايَتِها ، وكانا فى حَقيقَةِ أَمْرِهِما غيرَ جَديرَيْن بِما أسْلَفتْ لَهما وقَدَّمت ، إذْ وَسوَسَ لهُما الشَّيطانُ فغَرَّهُما مالُها الكَثير ، وهى عَجوزٌ ووَحيدَة ، وعزَّ علَيهِما أن يَترُكاها لِحالِها بعدَ أن طالَ وَلاؤهُما لَها ، وطَمِعا فى أنْ يَنعَما بمالِها الكَثير ، فدَبَّرا بكلِّ غَدرٍ وخِسَّةٍ قَتلها ، فقتَلاها واسْتَولَيا على أمْوالِها ولاذا بالهَرب . وعِندما علِمَ الخَليفَةُ عُمَرُ بنُ الخَطّاب بِما جَرى لها ، تأثَّر كَثيرًا وقال :

ـ صدقَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ حينَ قالَ إنّها ستَموتُ شَهيدَة .

فأمرَ بمُلاحَقةِ المُجرِمَيْن ، وقد عمَّ المَدينـةَ كلَّها حُزنٌ شَديدٌ على المُؤمِنَةِ الصّادِقة .

ولم يَمضِ اليَومُ التّالى علَى الجَريمَة ، حتّى أمسَكَ رِجالُ الخَليفَةِ بهِما ، وعادوا بهِما وبما يَحمِلان من أمْوالٍ ومَتاع ، إلى الخَليفَة ، فكانَ جزاؤُهُما أن قُتِلا وصُلِبا ، ليَكونا عِبرَةً لِمن يَعتَبِر .

رحِمَ اللّهُ أمَّ ورَقةَ المُجاهِدَةَ الصّابِرَة ، رَضىَ اللّهُ عنها .